شرح

العقيدة الطحاوية

للعلامة حجة الإسلام

أَبُو جَعْفَر الْوَرَّاقِ الْطَّحَاوِيّ

- رَحِمَهُ اللَّهُ -

الدرس الأول

شرح فضيلة الشيخ

محمد النورستاني

- حفظه الله -

فهرس الدرس:

بداية الدرس

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله؛ أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة وكل بدعةٍ ضلالة وكل ضلالةٍ في النار؛ ثم أما بعد:

١- نبذة مختصرة عن الإمام الطحاوي:

هذا الكتاب ألّفه الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، والطحاوي نسبة إلى طحا، وهذه البلدة لا زالت تُذكر بهذا الاسم وهي في صعيد مصر، تسمى الآن طحا الأعمدة.

والإمام الطحاوي من أئمة الحديث الذين عُرفوا بالجمع بين الحديث والفقه، ولكنه لم يُعرف باشتهاره في مجال العقيدة إلا بهذه الرسالة.

أما شهرته في مجال الحديث والفقه الشهرة اشتهر بها في بدايات طلبه للعلم، وهو من أسرة علمية؛ خاله الإمام المُزني تلميذ الإمام الشافعي، وكان يقرأ عليه، فحصل معه كلام لم يعجبه فتحول إلى المذهب الحنفي، فذهب إلى القاضي ابن أبي عمران، ودرس عليه وتفقه في مذهب الإمام أبو حنيفة.

٢- بعض مؤلفات الإمام الطحاوي:

وكتب كتبًا عديدة في نصرة المذهب من أهمها؛ كتابه: " **مشكل الآثار** " وكذلك كتابه: " **شرح معاني الآثار** " .

في هذين الكتابين في " **مشكل الأحاديث** " يذكر الأحاديث التي فيها شيء من الإشكال تحتاج إلى جمع وتحتاج إلى توجيه، إذا لم تكن المسألة تتعلق بالمذهب، الإمام الطحاوي يبدع في هذا الباب فالكتاب من أحسن ما كُتب في مشكل الأحاديث.

وكتابه " **معاني الآثار** " أيضًا كتاب يجمع بين الحديث والفقه إلا أنه يمثل هذه المدرسة ونصر هذه المدرسة بكل ما عنده من أدلة، وهو أيضًا من الأئمة الذين أسانيده عالية جدًا،

وتوفي سنة ٣٢١، ويلتقي مع بعض أئمة الكتب الستة، يلتقي معهم في بعض شيوخهم، فأسانيده عالية جدًا.

والإمام الطحاوي - رَحِمَهُ اللَّهُ - لمّا كتب هذه الرسالة قد أحسن صنعًا فيها بنسبتها إلى الأئمة الأحناف؛ لأن الإمام أبو حنيفة لم يكتب، لم يؤلف كتابًا لا في العقيدة ولا في غير العقيدة، لم يثبت أنه ألف كتابًا معينًا، وخاصة في حدود ما وصل إلينا؛ بل لم يثبت عنه أنه كتب كتابًا.

وكل ما يُنسب إليه من الفقه الأكبر والفقه الأوسط والفقه الأصغر، هذه كلها ليست له، ولكن بما أن الأحناف ينسبونها للإمام أبو حنيفة فنحن نستدل بها عليهم؛ لأن هناك جمل صريحة جدًا في الرد على المتكلمين في هذه الكتب، هي بما يُستدل بها عليهم.

مثلًا ذكر في " **الفقه الأكبر** " أن من أنكر أن الله ﷻ في السماء فقد كفر، ولكن هناك جمل هذه الجمل تدل دلالةً قاطعة أنها ليست للإمام أبو حنيفة، مما يدل على أن الكتب أصلًا ليست له وهي منقولة إليه، وهذا قول محققي الأحناف، لكن كثيرًا منهم ينسبونها إليه.

في ظل هذا الوضع وأن الإمام أبو حنيفة لم يؤلف شيئًا، لم يترك كتابًا يعني مدونًا في عقيدته.

طبعًا أولًا: هو من أئمة أهل السنة والجماعة لم يخالفهم إلا في مسائل عديدة من أشهرها مسألة الإيمان، وما قد نجده عند الإمام الطحاوي في بعض الأمور هي ليست عند الإمام أبي حنيفة باستثناء الإيمان.

فإن قلنا أن الإمام أبو حنيفة أحسن عقيدة حتى من الإمام الطحاوي فلا أكون مبالغًا؛ لأن الإمام الطحاوي تأثر ببعض ما كان عند أصحابه في وقت متأخر، بما أننا لا نجد مجموعة تركها الإمام أبو حنيفة بنفسه بتأليفه.

٣- استغلالُ أهلِ البدع للمذهب الحنفي لنشرِ بدعهم:

فهذا الوضع اُستغل استغلالًا سيئًا من قبل أصناف أهل البدع، سواء ممن انتسب إلى الأحناف أو ممن لم ينتسب إليه، فتجد أن أمثال ابن سينا ينسب نفسه إلى الأحناف، وله ترجمة في طبقات الحنفية.

أمثال الزمخشري من أشهر الأئمة في المذهب، صار المذهب يسعهم، أمثال المريسي الذي كفره الإمام الشافعي، هذا ليس إمامًا عاديًا بل هو من أعظم أئمة الأحناف، بشر المريسي من أعظم أئمة الأحناف، مما يدل على اتساع الخرق، وكيف أن هؤلاء استغلوا هذا المذهب لنشر بدعهم.

ومما ساهم في ذلك أن حفيد الإمام أبي حنيفة حماد بن أبي سليمان كان ممن تأثر بمذهب المعتزلة، وكان ينسب كثيرًا من أقواله إلى جده، هذا أيضًا يدل على أن هذا الانحراف تسرب إلى هذا المذهب من وقت مبكر.

٤- من أسباب تستر أهل البدع بالمذهب الحنفي:

هذا سبب أن الإمام أبو حنيفة لم يدون عقيدته بنفسه حتى يفتح الطريق على غيره، هذا سبب من الأسباب.

ومن الأسباب أيضًا، من أسباب تستر أهل البدع بهذا المذهب.

طبعًا أهل البدع تستروا بكثير من الأئمة وأكثر من اُستغل في هذا المجال هو الإمام أبو حنيفة ومذهبه.

ذكرنا سببًا وسبب آخر أن منهج الإمام أبو حنيفة حتى في الفقه يُنسب إلى الرأي، فنحن لما نذهب نذكر المجالس الفقهية الإمام مالك من أئمة المحدثين يمثل مدرسة أهل الحديث، تلميذه هو الإمام الشافعي امتداد له، تلميذ الشافعي الإمام أحمد امتداد له مدرسة واحدة الخلافات فيها ليست جوهرية، هذه المذاهب الثلاثة تعتبر مدرسة أهل الحديث.

أما مدرسة الإمام أبو حنيفة فهي مدرسة بإيذاء هذه المدرسة، مدرسة أهل الأثر ومدرسة أهل الرأي.

ولا شك أن نفس أهل البدع أقرب إلى هذه المدرسة، ولولا وجود الإمام أبي الحسن الأشعري - رَحِمَهُ اللَّهُ -، وقيام كثير من تلاميذه بنشر مذهبه في أوساط الشافعية والمالكية لولا هذا الأمر أقول هذا افتراض، لاستمر مذهب أهل الأثر في المذاهب الثلاثة لاستمر على نفس المحدثين وعلى نفس أهل الحديث وعلى نفس أهل السنة لاستمر زمنًا طويًلا.

إلا أن مع نشوء الإمام أبو الحسن الأشعري وانتسابه إلى الإمام الشافعي ثم نصرة الباقلاني لهذا المذهب وهو إمام المالكية ، هذا جعل مذهب المتكلمين يتسرب أيضًا إلى هذه المدارس التي هي في الأصل مدارس أهل السنة، هي مدارس أهل السنة بأصولها وتفاريعها.

أما مدرسة الأحناف فهناك بعض الخلاف حتى في أصول المدرسة، فبالنسبة لأهل البدع هم يعني انتسابهم لهذه المدرسة أقرب من انتسابهم إلى الإمام الشافعي وإلى الإمام مالك وإلى الإمام أحمد.

٥- العقيدة الطحاوية هي أفضلُ كتابٍ يعبِّر عن مذهب الإمام أبي حنيفة:

فلذلك الإمام الطحاوي لما كتب هذه الرسالة ونسبها إلى مَن سماهم فقهاء الملة الإمام أبو حنيفة والإمام أبو يوسف، والإمام محمد بن الحسن، فقد أحسن صنعًا في ذلك.

واحتفظ لنا بكتابٍ يعبر عن مذهب أولئك الأئمة ومؤلفه إمامٌ معروف موثوقٌ في نقله وفي تعبيره، موثوقٌ في كل شيء، إذا سُئلتم أحسن كتاب وأدق كتاب يعبر عن مذهب الإمام أبو حنيفة هو هذا، هذه مزيته، مزية هذا الكتاب.

٦- إساءة الأحناف للإمامين: أبي حنيفة، والطحاوي:

وللأسف الماتريدية طبعًا المنصور الماترودي معاصر الإمام أبي الحسن الأشعري، معاصر له، توفي سنة ٣٣٣، بعد أبي الحسن بسنوات، بعد نشوء مذهب الماتريدي، الأحناف جعلوه أيضًا ماتريديًا، جعلوا الإمام أبو حنيفة ماتريديًا وجعلوا أيضًا الطحاوي ماتريديًا.

ومما يدل على ذلك هذا الشرح الذي طُبع هنا في وزارة الأوقاف، هذا الشرح لـ أكمل الدين محمد البارودي.

وهذا من الأصوليين المعروفين ، الأصوليين الأحناف، وهو يعني من الأصوليين الأقوياء، كتابه في أصول الفقه أيضًا مطبوع.

البارودي معاصر لابن أبي العز، يعني من أشهر شروح هذا المتن هذا الشرح للماترديًا جعله ماترديًا صرفًا، طبعًا إذا كانوا يؤولون كلام الله ﷻ وكلامه هو أصعب كلام إذا كانوا يعملون فيه التأويل، فتأويل كلام غيره من أسهل ما يكون، لا تقولي كيف جعلوه ماترديًا؟.

سهل جدًا.

أولًا: لأنهم في التأويل ليست عندهم حدود، وقد عرفتم ، إذا كان هذا التأويل يسلطونه على نصوص الكتاب والسنة وبهذا الشكل الفظيع فمن يكون؟ إذا لم يستطيعوا أن يؤولوا جملة من الجمل، هناك التفويض، التفويض هذا يستخدم في كلام الله ﷻ وفي كلام رسوله وفي كلام الأئمة أيضًا؛ لأنه لا يتماشى مع الأصول.

وهناك شروح أخرى أنا جئت بهذا الشرح لأنه أشهر الشروح، وفي هذا الشرح طبعًا ينسب إلى الإمام الطحاوي ينسبه إلى التفويض وأن مذهبه التفويض، وذكر فيه أن المسلك المعتمد هو التأويل أو التفويض، وردد فيه المقولة المعروفة للمتكلمين طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم، ولا يذكر أهل السنة إلا بلقب الحشوية.

وذكر فيه أنه لا يجوز الاستدلال بالأدلة النقلية في الأصول، سبحان الله! ما يجوز الاستدلال بالكتاب والسنة في الأصول! وذكر فيه ردًا مطولًا على الحشوية الذين ينكرون علم الكلام من صفحة ٣٣ إلى نهاية ٣٤.

وذكر فيه أن علم الكلام حرفة الأنبياء، هذا كله في شرحه لكلام الطحاوي، هذا الذي سندرسه.

ومما ساعده في هذا التأويل:

أولًا: كما قلت جرأتهم في التأويل.

ثانيًا: وجود الألفاظ. وجود ألفاظ مجملة عبر عنها الإمام الطحاوي وكان يريد أمورًا لا بأس بها، إلا أنها ألفاظ مجملة لم تأتِ في الكتاب والسنة ومن الطبيعي أن تُستغل من قبل المتكلمين.

فمثلًا لا تحويه الجهات الست.

أين في الكتاب والسنة أنه لا تحويه الجهات الست؟.

نحن لا ننفيه ولا نثبته؛ لأنه شيء لم يأت في الكتاب والسنة ، وتعالى على الحدود وعلى الغايات، هذه الأمور الجزم بها من الصعب، ليس من منهج أهل السنة.

وكان الإمام الطحاوي يريد بها معاني صحيحة كما سيأتي. إلا أن المنهج الدقيق لأهل السنة أنه لا يجوز استخدام الألفاظ المجملة لا يجوز استخدامها حتى على المعنى الصحيح.

هم يلخصون منهج أهل السنة والجماعة في الألفاظ المجملة التوقف في اللفظ والاستفسار في المعنى.

التوقف في اللفظ، اللفظ حتى ولو كنت تريد منه معنى صحيحًا لا يجوز استخدامه.

والاستفسار في المعنى الذي يطلق هذا اللفظ اسأله ما الذي تريد؟.

إذا كان يريد معنى صحيحًا قل له: أحسنت في المعنى وأسأت في التعبير؛ يعني ما وجدت ألفاظ شرعية تعبر بها عن هذه المعنى، إن كان مخطئًا في المعنى تقول له: أسأت في التعبير، وأسأت في المعنى، هذا هو المنهج.

فوجود هذه الألفاظ أيضًا مما ساعد أهل البدع في استغلال هذا الشرح.

قبل أيام اتصل عليَّ أحد الأخوة من الأردن، قال لي أنا أدرس هنا ما أدري في أي كلية وأحد الدكاترة يدرس لنا هذا الكتاب وقال لنا : الإمام الطحاوي صرح في كتابه أن الله ﷻ لا تحويه الجهات الست وأن أتباع ابن تيمية حذفوا هذه الجملة من الكتاب.

قلت له : والله غريب، أتباع ابن تيمية أولهم ابن أبي العز، وهذه الجملة موجودة في النسخة التي شرحها ابن أبي العز، والباقي أبتاعه،، كل هذه النسخ موجودة فيها هذه الجملة فما أدري ما الذي يقصده؟.

هذا من أساليبهم في التهويل؛ لأن هذه الجمل من الجمل المعروفة ، لم يحذفها. الذي يحذفها هذا،، مادام الإمام الطحاوي يرتضيها عقيدةً لنفسه، من أنا حتى أحذفها؟. هذه عقيدته.

أما تعليقي على هذه الجمل فهذا شيء آخر.

قلت له: حذف ما يريدون من الجمل ترى هذه بضاعة المتكلمين، ولذلك أمثلة كثيرة لا نخوض فيها.

٧- أهمية مُؤَلَّف العقيدة الطحاوية في الذبِّ عن أئمة الأحناف:

فهذه العقيدة التي ألفها الإمام الطحاوي مهمة جدًا لأنها تعبر عن عقيدة الإمام أبي حنيفة، نستطيع أن ندافع عنه بما ذكره الإمام الطحاوي هنا.

ونستطيع أيضًا أن ندافع عن أئمة الأحناف، ذكر هنا أبا يوسف محمد بن حسن والأحناف يسمونهم الصاحبين، إذا قالوا: الصاحبين فالمراد به أبو يوسف ومحمد بن الحسن.

ونستطيع أيضًا أن ننسب إلى كبار أئمتهم زفر وغيره من الطبقة الأولى، أما من بعدهم فحصل فيهم ما حصل، كما أن الأئمة الآخرون كما تعرفون حصل أيضًا في أتباعهم ما حصل في المذهب الشافعي مع بروز ابن حسن الأشعري وكان ينتسب إلى الإمام الشافعي، انتشر علم الكلام في المذهب الشافعي.

٨- الذب عن الإمام الشافعي:

والآن نتحدث عن الشافعية الآن، إذا كان الشافعي أو إذا كان شافعيًا في الفروع كما يقولون تجده أشعريًا في الأصول وهذا الشيء عندهم مسَلّم، ولذلك كثير من الأخوة

الشافعية الذين أناقشهم أنا أقول لهم: إذا كان الحنفي ماتريديًا فترى هذا عنده بعض العذر؛ لأن أصل المذهب فيه شيء من،،.

أما الإمام الشافعي الذي كان يكفر كبار المتكلمين، كيف تنسبون هذه البدع إليه؟ كيف تنسبونها؟ فإذا كان هناك أحد الشافعية هنا ليتحملني.

٩- نصيحة لكل مَن ينتسب إلى مذهب من المذاهب الأربعة:

وأقول: كل مَن ينتسب إلى هؤلاء الأئمة، فمن حق الأئمة عليهم أن يعتنوا بعقيدتهم أولًا، فإذا كان أحد منكم حنفي فأنا أدعوك وأقول يا أخي، من حق الإمام أبي حنيفة عليك ألا تكذب عليه، وتبين للناس أن عقيدته كذا وكذا، لم يكن صوفيًا ولم يكن خرافيًا، ولم يكن ماتريديًّا يا أخي بيّن عقيدته للناس.

وكذلك الإمام مالك، أين الإمام مالك من هذه العقيدة؛ العقيدة الأشعرية؟ الإمام مالك الذي لم يتحمل سؤالًا، لم يتحمل، أمر بإخراجه وعلته الرحضاء لمّا سُئِل كيف استوى؟ لم يتحمل هذا السؤال.

قبل أن يجيب، فترة لم يتكلم، كان يجتنب هذا السؤال، ثم أجاب بذلك الجواب الذي صار قاعدة لأهل السنة " **الاستواء معلوم** " معناه معلوم " **والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعًا** " وأمر بإخراجه. هذا الإمام تنسب إليه هذه العقيدة! سبحان الله.

يا أخي، أنت كن مبتدعًا خرافيًا سلفيًا الذي تريد، ولكن لا تنسبها للأئمة، هؤلاء الأئمة الذين لهم لسان صدق في هذه الأمة، سواء كان الإمام أبو حنيفة الإمام مالك، والإمام الشافعي الإمام أحمد، لا تنسب إليهم هذه العقيدة.

وكذلك أقول للحنابلة ، لا أستبعد أن يكون هناك جمع من الحنابلة، بالنسبة للحنابلة طبعًا شيخ الإسلام بن تيمية جدد الحنبلية؛ لأن من الحنابلة مَن تأثر بعلم الكلام، وهم كثر، لا يخفون عليكم، حتى كاد أن يكون الخط الرسمي في الحنابلة علم الكلام.

أنت قارن بين المعتمد لأبي يعلى وبين كتب الباقلاني، ولاحظ التقارب بينهم حتى في العناوين، وأبو يعلى هو إمام الحنابلة في وقته، بل هو إمام أهل السنة في وقته.

لما جاء شيخ الإسلام جدد الحنبلية، جددها ، ثم أكد على هذا التجديد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فالحنابلة الذين على هذا الخط هم السلفيون أما أمثال الإمام السفاريني وغيره ممن دخل في بعض الكلميات فلا يعبرون عن عقيدة الإمام أحمد تعبيرًا دقيقًا.

هذه المسألة دخلنا فيها استطرادًا، وهذه المجموعة في غالبها متفقٌ عليها بين أصحاب الأئمة الأربعة، وأقصد بهم السلفيين في غالبها، لذلك شرحها من جميع المذاهب شرحها الأئمة من جميع المذاهب.

١٠- أهم شروحات العقيدة الطحاوية:

وأشهر شروحها هو شرح الإمام ابن أبي العز - رَحِمَهُ اللَّهُ -، ابن أبي العز من تلاميذ ابن كثير، وتوفي أظن سنة ٧٩١، وهو من أشهر من شرح هذا المتن، والآن بدأت تظهر شروح الحقيقة جيدة جدًا منها شرح الشيخ صالح آل الشيخ، شرح ما شاء الله يعني رائع جدًا.

ويذكر الشيخ إبراهيم أن الشيخ الراجحي أيضًا له شرح أنا لم أقرأه، لم أطلع عليه، ويثني عليه أيضًا، ولا يستبعد هذا من الشيخ الراجحي، وهناك شروح أخرى أيضًا مختصرة.

(المتن)

هَذا ذِكْرُ بَيَانِ عَقِيْدَةِ أَهْلِ الْسُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

(الشرح)

العقيدة هي بمعنى المعقودة، فعيلة بمعنى مفعولة؛ أي المسائل التي تعقد عليها قلبك، كأن المسألة في قلبك وتريد أن تعقد عليها قلبك حتى لا تخرج منك.

فهذه المسائل؛ العقيدة يعني الاصطلاح ولو أنه متأخر، يُطلق على المسائل التي هي الغيبيات، ﴿الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ١ - ٣].

مسائل العقيدة في مجملها تندرج في الغيبيات التي يجب التصديق بها ، والتي لا تتعلق في مجملها بالأعمال، ويُصدق عليها أيضًا المسائل العلمية بإيذاء المسائل العملية.

(المتن)

" هَذا ذِكْرُ بَيَانِ عَقِيْدَةِ أَهْلِ الْسُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ "

(الشرح)

الإمام الطحاوي هنا ذكر أمرين:

الأمر الأول: أن هذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة.

ثم قيدها وقال:

(المتن)

" عَلَى مَذْهَبِ فُقَهَاءِ المِّلَّةِ: أَبِي حَنِيفَةَ الْنُّعْمَانِ بِنْ ثَابِت الْكُوفِي، وَأَبِي يُوسُف يَعْقُوب بِنْ إِبْرَاهِيم الأَنَّصَارِيّ، وَأَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّد بِنْ الْحَسَن الْشَّيْبَانِي رُضْوَان الله عَلَيهِمْ أَجْمَعِين " .

(الشرح)

١١ – مقصد الإمام الطحاوي من ذكرِ فقهاء الملة في مقدمة عقيدته:

هل كان يقصد أن مذهب أهل السنة يتجاذبه الكثيرون، وأنا سأعبر عن منهج هؤلاء ، هل هذا الذي يقصده؟.

في رأيي والله أعلم: أنه لا يقصد هذا، هو لا يقصد هذا، وأكاد أجزم أنه لا يقصد هذا، لا يقصد أن منهج أهل السنة له مدارس وأنا سأعبر عن المدرسة التي ينتسب إليها هؤلاء الأئمة، ليس هذا مقصده والله أعلم.

وإنما يقصد أن يبرئ ساحة هؤلاء الأئمة مما يُنسب إليهم؛ لأن الانتساب إليهم -كما قلت- انتساب أهل البدع إليهم مبكرًا؛ حفيد الإمام أبي حنيفة كان ينسب إليه بعض

المسائل، مسائل أهل البدع، فلعله يقصد -والله أعلم- أن من يتحدث عن هؤلاء الأئمة وينسب إليهم البدع فهذا خطأ. هذه هي عقيدتهم. هذا الذي أمامك هذه هي عقيدتهم.

أظن -والله أعلم- أن تقييده لمنهج أهل السنة بذكر هؤلاء الأئمة الثلاثة هذا مقصده، ونحن بإمكاننا أيضًا أن نستشف من كلامه أن شيئًا ما، أن خلافًا ما قد نجده عن الإمام الطحاوي من قد نجد بعض المسائل التي خالف فيها منهج أهل السنة العام.

١٢- الألفاظ المجملة واستغلال أهل البدع لها في ترويج بدعهم:

وهذا هو الواقع مما نجد عنده ذكر بعض الألفاظ المجملة وهذا شيء لا يتحمله منهج أهل السنة والجماعة ؛ لأن كثيرًا من الباطل سوغ عن طريق الألفاظ المجملة، ولذلك شيخ الإسلام يركز على هذه المسألة، بالنسبة للألفاظ المجملة.

دائمًا يأخذ بالألفاظ ويحللها ماذا تقصدون بهذه الألفاظ؟ وما موقفنا من هذه الألفاظ؟.

فاستخدام هذه الألفاظ إلى الآن، إلى الآن تجد أهل البدع يستدلون بها، لا يجدون من هذه المجموعة المباركة إلا هذه الجملة: لا تحويه الجهات الست، هذه الألفاظ هي عمدتهم.

١٣- خطأ الإمام الطحاوي في مسألة الإيمان، وبعض مسائل الصفات:

أيضًا كلامهم في مسألة الإيمان خلاف واضح؛ لأن هؤلاء الأئمة الذين ذكرهم هم يمثلون مدرسة مرجئة الفقهاء، وهم أحسن أصناف المرجئة.

- المرجئة الغلاة مذهب جهم.
- ثم مرجئة المتكلمين؛ الإيمان عندهم التصديق.
- ثم المرجئة الفقهاء الإيمان عندهم التصديق والقول.

وأيضًا بعض المسائل التي تتعلق بالصفات خاصة عند الصفات الاختيارية هذه المسائل سنجدها عند الإمام الطحاوي.

١٤- ثناءُ الشيخِ على الكِتاب ومؤلِّفه:

ولكن الكتاب في مجمله يعبر عن منهج أهل السنة والجماعة، في عبارات واضحة، وتعبيرات جميلة جدًا، الإمام الطحاوي كان أديبًا، ومن الأئمة الذين تستمتع بقراءة كتبهم حتى كتبهم الفقهية، الإمام الطحاوي كان أديبًا، ومثله الإمام ابن حزم تجده حتى في كتبه الفقهية كأنه يتحدث عن مسألة أدبية.

(المتن)

" **هَذا ذِكْرُ بَيَانِ عَقِيْدَةِ أَهْلِ الْسُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ** "

(الشرح)

أهل السنة والجماعة لا يخفى عليكم أن هذا اللقب الشريف تتنازعه جميع الطوائف حتى المعتزلة، الذين أبعد ما يكونون عن السنة وعن الجماعة.

يقولون: نحن أهل السنة والجماعة، لماذا؟.

ذكر أحد المعتزلة الزيديون المتأخرون قرأت له، يقول: نحن أهل السنة، لماذا؟ لأننا نحن فهمنا السنة حقيقة، وقلنا: هذه ليست من السنة، وهذه هي السنة، وغير ما يظن كل شيء سنة ويتبع السنة.

١٥- رِقَّةُ أهلِ البدع مع بعضهم البعض، وغلظتهم مع أهل السنة:

الأحاديث الآحاد يظنها سنة، أهل السنة الحقيقيون نحن، والكلابية يقولون : نحن أهل السنة، لماذا؟ لأنا معركتنا مع المعتزلة، المعتزلة ليسوا أهل السنة، كلامهم فيه شيء من،، خاصة عند أوائلهم؛ لأن الكلابية وبعدهم الأشاعرة والماتريدية، نزاعهم مع المعتزلة طويل وعريض.

ولذلك ينسبون أنفسهم بل يحصرون هذا اللقب فيهم، أهل السنة والجماعة بإيذاء المعتزلة.

ولكنهم لما يأتون إلى أهل السنة الحقيقيين يتعاملون معهم بأسلوب أوحش من الأسلوب الذي يستخدمونه مع المعتزلة، أنت تقارن كلامهم في المعتزلة، وقارن كلامهم في

أهل السنة، أهل السنة دائمًا مشبهة وحشوية وألقاب سيئة جدًا، أما المعتزلة فبما أنهم يأخذون منهم كثيرًا من الأساليب، فيحترمونهم شيئًا، ولك أن تقارن.

طبعًا هذه دعوى، وأنا أدعي أن قد يكون كلكم أو بعضكم يدعي أن أهل السنة الحقيقيون، ليس فيه هؤلاء الذين ذكرت، طبعًا هذه دعوى، ولك أن تجلس وتحلل هذا اللقب، وتشوف أهل السنة والجماعة.

١٦- معنى السُّنَّة:

السنة طبعًا نقصد بها هنا سنة النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، والسنة هنا بمعنيين:

- السنة في مقابل البدعة.
- والسنة التي تُذكر في القرآن والسنة؛ سنة النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، بمعنى الأحاديث.

١٧- عناية أهل السنة والجماعة بالسنة؛ جمعًا وروايةً ودرايةً:

فمَن الذي يهتم بالسنة جمعًا ورواية ودراية غير أهل السنة والجماعة؟.

قارن بين الإمام الشافعي ومقابله المريسي، كم من الروايات تروى للمريسي؟. وجدتموها؟. أبعد ما يكون من السنة، يعني هو يكون من أهل السنة؟.

في كل طبقة قارن بين الإمام البخاري ومع مَن كان يناظره في طبقته من الكلابية، في شيوخه، في تلاميذه، تلامذة تلاميذه، دائمًا تجدون أهل السنة هم الذين يهتمون بالسنة رواية ودراية، فهم أهلها.

أنا ذكرت هذا واختصرت كلام الصنعاني، أبو المظفر الصنعاني، ذكر كلامًا طويلًا وقال: أهل السنة هم أهل هذا اللقب؛ لأنهم هم يهتمون بالسنة، وغيرهم يتهمون أهل السنة بالحشوية لماذا؟ لاهتمامهم بالسنة. يقولون: ليس عندكم إلا حدثنا فلان وحدثنا فلان. يلمزونهم بهذا.

طيب وأنتم إيش عندكم؟ إيش بضاعتكم؟ العقل، وأهل السنة يتهمون بأنهم لا يهتمون بالعقل.

فنحن نقول: أنتم أهل العقل، ولكن من البعيد أن تكونوا أهل السنة، ما هو ذلك العقل الذي تفتخرون به؟ عقل الملوث، نحن لا يشرفنا أن يكون لنا هذا العقل، الذي دائمًا يصرف النصوص، دائمًا يكون معوقًا للأخذ من النصوص.

١٨- الرد على ادِّعاء أن الأشاعرة والماتريدية من أهل السنة:

إذًا من يناظرك في هذا، أنت اجلس معه، وقل له يا أخي: ما موقفك من السنة، هل تستدل بأخبار الآحاد في العقيدة؟ أنا استدل، بل هذا من الأصول التي أتميز بها، طبعًا أخبار الآحاد أحاديث الصحيحين أكثرها أخبار آحاد، الأحاديث المتواترة تكاد تعد على الأصابع، وخاصةً حسب الأصول التي هم يذكرونها.

فيسألهم هل تستدل بأحاديث الآحاد في العقيدة؟.

طبعًا يقول: لا. هذا لا يُستدل فيه إلا بما يفيد اليقين وأخبار الآحاد لا يُستدل بها في الاعتقاديات؛ لأنها لا تفيد اليقين.

طيب يا أخي، مَن أقرب إلى السنة؟ من يستدل بها أو من لا يستدل بها؟ هذا أولًا.

إذا تعارضت عندك الأحاديث مع ما تزعمه من العقل، ما الذي تقدمه؟ أنا أقدم النقل، أفتخر به، أنت ماذا تقدم؟ يا أخي أنا أقدم العقل.

طيب مَن منا أولى بالسنة؟ اثنين: عندك مجال التأويل هذا معول ترمي به النصوص كما تريد، وأنا لا أستخدمه، أنزه النصوص من هذا، وأنت ما تذكر الأحاديث في كتب العقائد عنهم؟.

شوفوا الفهارس فهارس الكتب عندهم، تجد هناك أحاديث من كتبهم ولكنها في الركن المرفوض، واستدل الحشوية بهذا الحديث وهو هكذا، واستدل، لما يأتي للجانب الذي يرفضه هناك تجد حشدًا من الآيات والأحاديث.

أما في الجانب الذي يستدل من النادر، طيب خذ كتبي وكتب أئمتي يدور حول النصوص ، من منا أولى بالسنة؟ من يرفضها، ومن،،؟ وهكذا، في جميع المسائل، وطبعًا المسائل كثيرة.

في كل المسائل بكل هدوء قل له يا أخي من منا أهل السنة؟.

أنا أتحدث عن الكلابية ومن بعدهم، أما من قبلهم فالحديث معهم طويل، وهكذا تجد أن من يدعي أنهم هم أهل السنة فقط أو من يدعي أن الأشاعرة أو الماتريدية أيضًا من أهل السنة، دعواه ليست صحيحة؛ لأجل هذه الأمور.

أما إذا قال مثلًا: نعم إذا تعارض العقل والنقل أنا أقدم النقل إذًا أنت يا أخي اسمك أشعري بس في الحقيقة أنت لست كذلك.

إذا قال مثلًا: أنا استدل بأخبار الآحاد يا أخي هذا موقف جريء، من أنت معي لست أشعري.

١٩- بيانُ بعضِ عقائد الماتريدية:

نحن نتحدث عن شو هذا الماتريدي، هنا في الصفحة ٣٠، يقول: " **لا يجوز الاستدلال بالأدلة النقلية في الأصول** " وهذا موقفهم.

تدرون ماذا يقصدون بالأصول؟.

أصول الإلهيات، وجود الله ﷻ مسائل الربوبية، إثبات بعض صفاته وبعض أسمائه إلى إثبات صفة الكلام.

بعد إثبات صفة الكلام وأنه متكلم وأن له كلام وأنه أرسل الرسل بكلامه إلى هنا يعدونه في الإلهيات، إلى هنا يقولون: لا يجوز الاستدلال بالكتاب والسنة، هل هذا الذي أهَّلك لأن تكون من أهل السنة؟.

٢٠- الدعاوى تبقى دعاوى ما لم تكن هناك براهين:

على كل حال المسائل كثيرة، وكما قلت، وهذا الذي أقوله دعوى، ولكن يا أخي اسمع شوف المسائل، المسألة ما تحتاج إلى تجاذب؛ لأن الدعاوى تبقى دعاوى ما لم تكن هناك براهين، وأنا اعتقد أن هؤلاء أبعد ما يكونوا من أهل السنة.

كيف تكون من أهل السنة ونزاعي معك في السنة! أصلًا خلافك معي في السنة، أنا من أهل السنة، وأنت أيضًا من أهل السنة إذن أين الجدال، ولماذا الجدال؟.

لماذا تتهموني أن حشوي؟ إلا لأجل موقفي من السنة. ومع ذلك أنت أيضًا من أهل السنة!. يا أخي، اعتقد بالسنة وأعتز بالسنة واهتم بالسنة تكون من أهل السنة، لأن المجال، هو ليس مجالي أنا.

طولت في هذا؛ لأن هذه المسألة تثار بكثرة.

ويقولون أيضًا: ابن حجر أشعري، والنووي أشعري، والبيهقي أشعري، أنا أعطيكم نبذه مختصرة في هذه الأمور.

٢١- كيفية الحكم على الأشخاص، واستبيان منهجهم:

كيف نعرف أن فلانًا أشعري أو ما تريدي أو من أهل السنة؟ بالنظر إلى أصوله، نحن قلنا: إن الطحاوي عنده بعض المسائل التي قد نخالفه فيها، مع ذلك قل: هو من أئمة أهل السنة، لماذا؟ لأن أول مسألة ذكرها التوحيد، وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة.

أول ما واجب من المكلف ماذا؟ التوحيد، حتى الخلافات التي في ثنايا الكتاب لا تعبر عن المنهج ، هي مسائل مهمة، ولكنها في المجمل لا تعبر عن المنهج.

اذهب إلى ابن حجر، ماذا يقول في أول واجب من المكلف؟ التوحيد.

وماذا يقول عن علم الكلام؟.

ذكر في " **فتح الباري** " ذكر كلامًا من أجمل ما يكون.

قال: هذا الذي يسمونه علم التوحيد؛ لأنهم للأسف يسمون علم الكلام علم التوحيد، هذا الذي يسمونه علم التوحيد، هذا من كلام اليونان. هذا بالمعنى وليس

بالنص. لم يكتفوا بقبوله وكذا بل زعموا أنه هو التوحيد. رد قوي عليهم. رد عليهم في أصول علم الكلام.

إذن هو لو كان أشعري ليش يرد على الأشاعرة في الأصول؟.

جئنا إلى بعض المسائل وخاصة التأويل، لا شك أن عنده تأويل في بعض الصفات، وهذا التأويل ليس لأنه معكم في الأصول، ولكن لأنه يعتقد أن هذا هو مدلول النصوص، إذا قلت له هل تأول لأن العقل مقدم عندك؟ لا هو يرد على من يقدم العقل.

والأشهر أنه يؤول لأن العقل عنده مقدم، هذه قاعدة، وهكذا جميع المحدثين، خذوها قاعدة " **جميع المحدثين ليسوا معهم في هذه الأصول الكبار** " مع موافقتهم لهم في بعض المسائل.

ولا شك أن موافقتهم لهم هذه خطيرة جدًا، ولذلك تجدون شيخ الإسلام تجده في مناقشته لأولئك الأئمة يعني يطيل فيها؛ لأن موافقة المحدث ولو في مسألة جزئية لأولئك المبتدعة هذا يعطيهم،، نعم.

يعني الحجج معنا وجمهور الأمة يا أخي اسأل من أي واحد من العامة، وقل له : هل أول واجب هو التوحيد أو القصد إلى النظر ولا النظر؟ بماذا سيجيب؟.

أصلًا هو سيستغرب من هذه المصطلحات، فكما ذكر الشيخ ابن عثيمين في أواخر كتابه " **القواعد المثلى** " ذكر هناك كلامًا جميلًا جدًا، أن في دعواهم أن جمهرة الأمة معنا، كلام مفيد جدًا اقرءوه.

إذن هذه عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة، الإمام الطحاوي مع هذا القيد يكون دقيقًا جدًا في التعبير عن محتوى هذا الكتاب، ولو اكتفى بقوله أهل السنة والجماعة لدخلنا معه أو لدخل معه الأئمة في نزاع طويل، أنت جعلت المرجئة أيضًا كذا، بما أنه يرى هذا هو مذهب أهل السنة ، فدعواه هنا وتفصيله هناك، هذا الإجمال مع ذلك التفصيل معروف.

٢٢- نبذة عن الأئمة الأربعة:

(المتن)

" عَلَى مَذْهَبِ فُقَهَاءِ المِلَّةِ: أَبِي حَنِيفَةَ النُّعْمَانِ بِنْ ثَابِتِ الْكُوفِي " .

(الشرح)

هذا أول المذاهب الأربعة، من حيث الزمن ولد سنة ٨٠ وتوفي ١٥٠، تلك السنة التي ولد فيها الإمام الشافعي.

الإمام الشافعي ولد سنة ١٥٠ وتوفي سنة ٢٤٠.

والإمام مالك أظن توفي سنة ١٧٩، والإمام أحمد توفي سنة ١٤٢، أو ١٤١، أظنها ١٤٢.

وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، هذا أحد الأئمة المذهب الحنفي بل يعد أشهر إمام بعد الإمام أبي حنيفة، وبعده محمد بن حسن الشيباني.

محمد بن حسن الشيباني من الأئمة الذي تميزوا في المذهب بالجمع بين الفقه والحديث ، والسبب أنه درس عند الإمام مالك، وكان معه الإمام الشافعي، ودائمًا كانا يتناظران، الإمام الشافعي يدافع عن الإمام مالك، ومحمد بن حسن يدافع عن الإمام أبي حنيفة، وكانا يدرسان في المدينة.

(المتن)

وما يَعْتَقِدُونَ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ وَيَدِينُونَ بِهِ رَبَّ العالمين.

(الشرح)

هذه عقيدتهم وهذا يعتبر شيء من التكرار ولكنه للتأكيد، وما يعتقدون من أصول الدين هذه هي عقيدهم، وأصول الدين هذا أيضًا مصطلح يُطلق على علم العقيدة.

ونجد لهذا المصطلح عند المتكلمين أكثر، هنا أصول الدين للبغدادي، أصول الدين للبزدوي، أصول الدين للرازي أيضًا، كتب عديدة بهذا الاسم؛ أصول الدين.

طبعًا أصول الدين عندهم تلك الأصول التي ينطلقون منها مثل أول واجب على المكلف هو النظر وأيضًا تقديم العقل على النقل، هذه كلها أصول يسمونها أصول، وليست هي من الأصول في شيء.

(المتن)

وَيَدِينُونَ بِهِ رَبَّ العالمين نقُولُ في تَوحيدِ الله مُعتَقدينَ بتوفيق الله: إنَّ الله واحدٌ لا شريكَ لَهُ.

(الشرح)

أول ما بدأ الإمام الطحاوي بدأ بالتوحيد، وهذا هو الصحيح؛ لأن أول واجب من المكلف هو التوحيد، وكلامه عن التوحيد تفصيله وما ذكر من الجزئيات، وأن كل ما ذكره جميل.

" **نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ** "

التوحيد مصطلح شرعي، العقيدة مثلًا هذا مصطلح ولكن ليس مصطلح شرعيًا، المصطلح الشرعي هو الذي يكون مأخوذًا من النصوص، كما في حديث جابر: " **فأهل بالتوحيد** " التوحيد مصطلح شرعي ولكن من الملاحظ أنه مع أهمية هذا الأصل؛ لأن التوحيد عليه بناء الدين، ومع أهميته وروده في النصوص قليل.

كنت أبحث عن الأحاديث التي ورد فيها هذا المصطلح على ما أذكر وجدت تقريبًا تسعة ألفاظ، أشهرها حديث جابر، أكثر ما ورد ورد بالتفسير، مصحوبًا بالتفسير، مثلًا الأنبياء والرسل كانوا يبدءون رسالتهم بماذا؟ ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]، هذا هو التوحيد.

٢٣- التوحيد هو عبادة الله عز وجل وحده:

هذا التوحيد مصحوب بتفسيره، التوحيد هو عبادة الله عز وجل وحده، في الأحاديث في الآيات كل ما يُذكر يُذكر بالتفسير، مع هذا الله أعلم لعل الحكمة تكون؛ لأن المصطلح

إذا ذُكر وتُرك التفسير قد تسرب الانحراف إليه يكون سهلًا، مع هذا تجد أن من أشهر الخلاف بين أهل السنة وبين غيرهم من جميع الطوائف تفسير التوحيد.

٢٤- أقسام التوحيد عند الأشاعرة والماتريدية:

ما هو التوحيد؟ التوحيد عند أقرب الطوائف إلى أهل السنة والجماعة، وهم الأشاعرة والماتريدية، التوحيد عندهم ينقسم إلى ثلاث أقسام:

- توحيد في الذات.
- توحيد في الصفات.
- توحيد في الأفعال.

تذكرون أن من التهم التي كانت توجه إلى الإمام محمد بن عبد الوهاب، قبله شيخ الإسلام بن تيمية أنه جعل التوحيد ثلاثًا، كانوا يقولون أن التثليث الذي نجده عند النصارى موجود أيضًا عند الوهابية.

سبحان الله، التثليث موجود عندكم، إذا كان هذا التثليث، التوحيد عندكم هو هذا: توحيد في الذات. وتوحيد في الصفات. وتوحيد في الأفعال.

٢٥- القسم الأول: التوحيد في الذات عند الأشاعرة والماتريدية:

التوحيد في الذات معناه عندهم أن الله ﷻ ليس مركبًا من الأجزاء، على أحسن المحامل لعلهم يريدون الرد على النصارى؛ لأن النصارى عندهم الله ﷻ أو الإله عندهم مكون من ثلاثة أقانيم.

لذلك يقولون باسم الأب والابن والروح القدس إلى أنواع ثلاثة أقانيم، إذن هو مركب من ثلاثة أقانيم.

قد يكون ردهم عليه، على كل حال سواء الرد عليهم أو هذه المسألة يعني هكذا جعلوها أصل ليس عليه دليل من الكتاب والسنة، هذه المسألة أصلًا لا يعتقد أحدًا من المسلمين أن الله ﷻ له أجزاء، هذه المسألة أثاروها ثم جعلوها أصلًا.

بل هذا التقسيم لا أستبعد أن يكون مأخوذًا من الفلاسفة؛ لأن الدليل الذي به يثبتون وجود الله ﷻ بالنسبة للفلاسفة، دليل التركيب، ودليل التركيب مبني على هذه الأمور ***هذا أولًا .***

التوحيد في الذات، التوحيد في الذات معناه أنه ليس مركبًا من أجزاء.

٢٦- القسم الثاني: التوحيد في الصفات عند الأشاعرة والماتريدية:

التوحيد في الصفات، يختلف باختلاف إثباتهم للصفات، عند الأشاعرة مثلًا سبع صفات، وعند الماتريدية ثماني صفات، وهكذا.

٢٧- القسم الثالث: التوحيد في الأفعال عند الأشاعرة والماتريدية:

التوحيد في الأفعال هذا كما ذكر شيخ الإسلام في " **التدمورية** " أحسن ما ذكروه في التوحيد؛ لأن التوحيد في الأفعال هو توحيد الربوبية انحرفوا فيه قليل. انحرافهم فيه في طريقة أثبات الربوبية.

وهذا كما قلنا أحسن ما ذكروه، هذا التوحيد عند من؟ عند أقرب الطوائف لأهل السنة، التوحيد عند الصوفية نفي الاثنينية. هم يقولون إذا كنت تعتقد أن هناك عابدًا ومعبودًا فلا تزال مسلمًا، انسى أن هناك عابد ومعبود، أي عندهم كل شيء هو الله ﷻ، كل من عنده شائبة الاثنينية يخطر في باله أحيانًا أن هناك عابد ومعبود، هذا لم يتخلص من الشرك، سبحان الله يا أخي، نحن نتحدث عن ماذا؟ عن أصل في الشرك.

٢٨- التوحيد عند باقي الطوائف والفِرَق:

والتوحيد عند المتكلمين عمومًا من ناحية أخرى، نفي الصفات، التوحيد عند الجهمي لا يتم ولا يتحقق إلا بنفي الأسماء ونفي الصفات، التوحيد عند المعتزلة لا يتحقق إلى بنفي الصفات، التوحيد عند الكلابية وأتباعهم لا يتحقق إلا بنفي الصفات الخبرية وبنفي الصفات الاختيارية، الخبرية عند المتأخرين، والاختيارية عند الجميع، وهكذا.

التوحيد الذي هو أصل الدين، وهكذا اختلفوا، ولكن الشرح الذي نجده من الطحاوي شرح جميل.

(المتن)

نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ.

(الشرح)

هذه أيضًا بداية جميلة، مثل يعني هي في قوة بسم الله الرحمن الرحيم.

(المتن)

إنَّ الله واحدٌ لا شريكَ لَهُ.

(الشرح)

إن الله واحد، كل مَن ذكرتهم إلى هنا يتفقون إن الله واحد، تفسيره في الاثنينية تفسيره هكذا إن الله واحد لا شريك له.

معنى إن الله واحد أنه لا شريك له، هذا تأكيد في قولهم إن الله واحد، ونفي الشريك يكون حسب تقسيم التوحيد.

٢٩- أقسام التوحيد عند أهل السنة:

وأنتم تعرفون تقسيم التوحيد عند أهل السنة، التوحيد عندهم أي لهم تقسيم ثنائي ولهم تقسيم ثلاثي، في التقسيم الثنائي؛ توحيد المعرفة والإثبات، وتوحيد الأسماء والصفات.

توحيد المعرفة والإثبات؛ أي توحيد القصد والإرادة، والطلب والعمل كلها يعبرون عنه عن توحيد الإلوهية.

التوحيد في المعرفة والإثبات؛ أي في معرفة الله ﷻ، وهذا توحيد الربوبية، والإثبات توحيد الأسماء والصفات.

والتوحيد في القصد والطلب والعمل هذا كله يعبرون عنه بالتوحيد الإلوهية. توحيد الإلوهية. توحيد العبودية. توحيد العبادة. توحيد في الطلب والقصد والإرادة، هذا قسم وهذا قسم.

أما في التقسيم الثلاثي، توحيد الربوبية، وتوحيد الإلوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات.

هنا في القيود التي ذكرها بعد ذلك في قوله: " **وَلا شيءَ مِثْلُهُ. وَلا شَيْءَ يُعْجِزُهُ. وَلا إِلهَ غَيْرُهُ** ".

- ولا شيء مثله هذا يرجع إلى توحيد الأسماء والصفات.
- ولا شيء يعجزه يرجع إلى توحيد الربوبية.
- ولا إله غيره يرجع إلى توحيد الإلوهية.

نكتفي بهذا القدر، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.